كتاب

الأخلاق للبنين

لطلاب المدارس الإسلامية بإندونيسيا

الجزء الثاني

تأليف

عمر بن أحمد بارجاء

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة محمد بن أحمد نبهان وأولاده

بسورابايا - إندونيسيا

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن زين النوع الإنسانى بالأخلاق الكريمة، وصلاة وسلاما على أفضل متخلق بالآداب العظيمة، وآله وأصحابه وكل من اقتفى طريقتهم القويمة .

وبعد، فلا يخفى أن للأخلاق أكبر الأثر على حياة الأفراد والشعوب وعلى مدى تقدمها أو تأخرها، بل على بقاء وجودها أو اضمحلالها.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لذلك كانت عناية الأديان السماوية لاسيما الاسلام، والأمم الراقية بأمرها عظيمة جدا. فلا عجب أن قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وقال: «لا إيمان لمن لا عهد له».

غير أنه من المؤسف جدا أن الحياة المدنية بما فيها من وسائل الترف والترفيه وبما يتجدد فيها من المخترعات العلمية التى تتجه بعضها نحو الملذات الجسمية وإشباع الرغبات البهيمية كانت ولا تزال عاملا قويا والعياذ بالله لهدم صرح الأخلاق وانهيار بنيان الإنسانية العلياء. أضف إلى ذلك هذا التناحر المشئوم بين البشر وهذه الحروب بما يتبعها من الويلات والنتائج الوخيمة، التى تغير وتفسد من

أخلاق مجموع وأفراد الشعوب أيا كانت طبقاتهم .

ولكن العناية الالهية الرقيبة على الكون كانت ولن تزال تلطف وتخفف وتصلح كثيرا من ذلك . فإن رجال الإصلاح - في كل مكان وزمان - الواهبين نفوسهم لخدمة الدين والنصح للأمة لم يعد موابعد ، ولم يجبنوا أن يقوموا بواجبهم مهما كلفهم الأمر وعرضهم للأخطار ، لينيروا السبيل لبني الانسان إلى حيث النجاة والأمان ، فحياهم الله وأبقاهم .

وإن من أمثل وأفضل وسائل إصلاح الأخلاق : الاهتمام بتهذيب أخلاق النشء والأحداث وتزويدهم بما يكفل لهم السعادة في المستقبل ، ولا غرو فهم سيكونون الجيل القادم ، وسيتسلمون غدا مقاليد الأمور . فالاعتناء بهم وتقويمهم واجب مقدس دينيا وأدبيا واجتماعيا على الآباء والمربين والمعلمين . وعليه فان بروز كتاب « الأخلاق للبنين » تأليف أخينا الأستاذ عمر بن أحمد بارجاء لازم لما نحن في أشد الحاجة اليه ومناسب جدا لهذا الوقت الذي اضطرب فيه حبل الدين وتزعزع به صرح الأخلاق واندكت بعض مبانيه .

فإلى الأستاذ عمر نقدم شكرنا ونرجو منه زيادة الاهتمام بأمر الأخلاق للنشء المعلق عليه الرجاء ، كما نرجو للكتاب الرواج وحسن الإقبال والأثر ، لاسيما من أولي التربية ، وأرباب المدارس .

وإليكم أيها الآباء والمعلمون أوجه النداء أن تحسنوا تربية أبنائكم وتلاميذكم وتعويدهم الأخلاق الفاضلة قولا وعملا وتسعوا إلى المحافظة على التراث الثمين الذي خلفه لنا السلف الصالح من الأخلاق الحميدة : من كرم وشجاعة ونجدة ووفاء وغير ذلك ، وتكونوا لهم في ذلك أحسن قدوة وأفضل أسوة .

والله يتولى الحق وهو يهدي السبيل ٥٥

كتبه الفقير الى عفو ربه

محمد بن حسين بن علي باعبود

لاواع بتاريخ غرة ذي القعدة ١٣٧٣ - الموافق ٢ جولي ١٩٥٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ اَلْأَخْلَاقُ

١ ـ أيها الولد العزيز : إن الأخلاق الحسنة هي سبب سعادتك، في الدنيا والآخرة : يرضى عنك ربك، ويحبك أسرتك وجميع الناس، وتعيش بينهم محترماً، وعكسها الأخلاق السيئة، فهي أصل شقاوتك، في الدنيا والآخرة : يسخط عليك الله، ويبغضك أهل بيتك، وجميع الناس، وتعيش بينهم محتقراً ذليلاً.

٢ ـ فتخلق بمكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب من صغرك، لتنشأ عليها وتعتادها في كبرك، ولابد أن تكلف نفسك عليها أولاً، حتى تصير طبيعة أخيراً، قال الله تعالى : (قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها) وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله، وحسن الخلق. أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً. إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ».

٣ ـ وإن الناس لا ينظرون إلى جمال وجهك، ولا جدة ثيابك، ولكنهم ينظرون إلى أخلاقك، كما قال الشاعر :

لَاتَنْظُرَنَّ لِأَثْوَابٍ عَلَى أَحَدٍ
إِنْ رُمْتَ تَعْرِفُهُ فَانْظُرْ إِلَى الْأَدَبِ
فَالْعُودُ لَوْلَمْ تَفُحْ مِنْهُ رَوَائِحُهُ
لَمْ يُفَرِّقِ النَّاسُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْحَطَبِ

وَقَالَ آخَرُ :

وَمَا يَنْفَعُ الْفِتْيَانَ حُسْنُ وُجُوهِهِمْ
إِذَا كَانَتِ الْأَخْلَاقُ غَيْرَ حِسَانِ

وَكَذٰلِكَ الْعِلْمُ لَايَنْفَعُ مَعَ سُوءِ الْخُلُقِ، وَالْعَالِمُ السَّيِّئُ الْأَخْلَاقِ مَكْرُوهٌ عِنْدَ النَّاسِ، أَكْثَرَ مِنَ الْجَاهِلِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَعْتَنِيَ بِتَهْذِيبِ أَخْلَاقِكَ، كَمَا تَعْتَنِي بِطَلَبِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ.

٤ـ وَإِذَا كَبِرَ الْوَلَدُ وَقَدْ تَعَوَّدَ الْأَخْلَاقَ الْفَاسِدَةَ، فَإِنَّهُ يَصْعُبُ جِدًّا تَهْذِيبُهُ وَإِصْلَاحُهُ، وَقَدْ لَايَتَأَتَّى ذٰلِكَ أَصْلًا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَوْلَادَ فِي صِغَرٍ
وَلَيْسَ يَنْفَعُهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَدَبُ
إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ
وَلَا يَلِينُ وَلَوْ قَوَّمْتَهُ الْخَشَبُ

٥ـ هٰذَا وَقَدْ قَرَأْتَ أَيُّهَا التِّلْمِيذُ الْمَحْبُوبُ، الْجُزْءَ الْأَوَّلَ مِنْ هٰذَا

ٱلْكِتَابِ، وَٱنْتَفَعْتَ بِهِ، وَدُونَكَ هٰذَا ٱلْجُزْءَ ٱلثَّانِى، فَتَفَهَّمْهُ تَمَامًا، وَٱعْمَلْ بِمَا فِيهِ، لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ، ٱلَّذِينَ حَسُنَتْ أَخْلَاقُهُمْ، وَتَهَذَّبَتْ نُفُوسُهُمْ، فَفَازُوا بِخَيْرَاتِ ٱلدُّنْيَا وَٱلدِّينِ.

٢ ـ وَاجِبُ ٱلْوَلَدِ نَحْوَ رَبِّهِ تَعَالَى

١ ـ أَيُّهَا ٱلْوَلَدُ ٱلْأَدِيبُ: لَقَدْ مَنَّ ٱللهُ تَعَالَى عَلَيْكَ بِنِعَمٍ كَثِيرَةٍ: أَوْجَدَكَ بَعْدَ ٱلْعَدَمِ، وَجَعَلَ لَكَ عَقْلًا، وَهَدَاكَ إِلَى دِينِ ٱلْإِسْلَامِ، ٱلَّذِى هُوَ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ، وَأَنْعَمَ عَلَيْكَ بِٱلسَّمْعِ وَٱلْبَصَرِ وَٱللِّسَانِ، وَٱلْيَدَيْنِ وَٱلرِّجْلَيْنِ، وَخَلَقَكَ بَشَرًا سَوِيًّا، فِى أَحْسَنِ خِلْقَةٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) وَأَعْطَاكَ ٱلصِّحَّةَ وَٱلْعَافِيَةَ، وَوَضَعَ ٱلرَّحْمَةَ لَكَ فِى قُلُوبِ وَالِدَيْكَ، حَتَّى رَبَّيَاكَ تَرْبِيَةً كَامِلَةً، وَحَبَّبَكَ إِلَى أُسْتَاذِكَ، حَتَّى عَلَّمَكَ مَا يُفِيدُكَ فِى دِينِكَ وَدُنْيَاكَ، إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ نِعَمِهِ تَعَالَى ٱلَّتِى لَا تُحْصَى: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللهِ لَا تُحْصُوهَا).

٢ ـ فَيَلْزَمُكَ أَنْ تَشْكُرَ رَبَّكَ عَلَى نِعَمِهِ: بِأَنْ تُطِيعَ أَوَامِرَهُ وَتَبْتَعِدَ عَنْ مَنْهِيَّاتِهِ، وَتُعَظِّمَهُ مِنْ قَلْبِكَ، فَلَا تَعْمَلْ قَبِيحًا، وَلَوْ فِى حَالِ وَحْدَتِكَ، وَفِى ٱلْحَدِيثِ: ٱتَّقِ ٱللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ. وَأَنْ تُحِبَّ رَبَّكَ أَكْثَرَ

مِنْ مَحَبَّتِكَ لِوَالِدَيْكَ وَلِنَفْسِكَ، وَتُحِبَّ أَيْضًا جَمِيعَ مَلَائِكَتِهِ، وَرُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى يُحِبُّهُمْ.

٣ــ وَيَجِبُ عَلَيْكَ أَيْضًا: أَنْ تَسْتَعِينَ بِهِ فِي حَاجَاتِكَ، وَتَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ فِي أُمُورِكَ، قَالَ تَعَالَى: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ). وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ.

٤ــ إِذَا شَكَرْتَ رَبَّكَ زَادَكَ مِنْ نِعَمِهِ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) وَحَفِظَكَ مِنَ الْمَصَائِبِ، وَأَعْطَاكَ مَا تَرْجُوهُ مِنَ الْمَقَاصِدِ، وَأَحَبَّكَ مَوْلَاكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَجَعَلَ الْخَلْقَ يُحِبُّونَكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا) أَيْ يُحِبُّهُمْ وَيُحَبِّبُهُمْ لِلنَّاسِ. وَفِي الْحَدِيثِ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ

قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ.

٣ـ التِّلْمِيذُ الْمَحْبُوبُ

كَانَ بَعْضُ الْأَسَاتِذَةِ يُحِبُّ أَحَدَ تَلَامِذَتِهِ، أَكْثَرَ مِنْ زُمَلَائِهِ، فَتَعَجَّبُوا مِنْ ذٰلِكَ، وَقَالُوا: لِأَيِّ شَيْءٍ يُحِبُّ أُسْتَاذُنَا هٰذَا التِّلْمِيذَ أَكْثَرَ مِنَّا؟ فَأَرَادَ الْأُسْتَاذُ أَنْ يُظْهِرَ لَهُمُ السَّبَبَ فِي ذٰلِكَ، فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ دَجَاجَةً، وَقَالَ: لِيَنْفَرِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي مَكَانٍ، وَلْيَذْبَحِ الدَّجَاجَةَ حَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ. فَامْتَثَلَ التَّلَامِيذُ أَمْرَ الْأُسْتَاذِ، إِلَّا ذٰلِكَ التِّلْمِيذَ الْوَحِيدَ، فَإِنَّهُ رَدَّ الدَّجَاجَةَ، فَقَالَ لَهُ أُسْتَاذُهُ: مَا لَكَ لَمْ تَذْبَحْ دَجَاجَتَكَ، كَمَا ذَبَحَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: لِأَنِّي لَمْ أَقْدِرْ أَنْ أَنْفَرِدَ فِي مَكَانٍ، لَا يَرَانِي فِيهِ أَحَدٌ، فَإِنَّ اللّٰهَ يَرَانِي فِي كُلِّ مَوْضِعٍ. فَقَالَ الْأُسْتَاذُ لِلتَّلَامِيذِ: انْظُرُوا إِلَى هٰذَا التِّلْمِيذِ: يَخَافُ اللّٰهَ، وَلَا يَنْسَاهُ فِي أَيِّ مَكَانٍ، فَلِهٰذَا أَحْبَبْتُهُ أَكْثَرَ مِنْكُمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ إِذَا كَبِرَ يَكُونُ مِنَ الصَّالِحِينَ، الْمُطِيعِينَ لِرَبِّهِمْ فِي كُلِّ حِينٍ.

❊ ❊ ❊

٤ـ وَاجِبُ الْوَلَدِ نَحْوَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم

١ ـ اِعْلَمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لَهُ حَقٌّ عَظِيمٌ عَلَيْكَ، وَحَقُّهُ أَعْظَمُ الْحُقُوقِ بَعْدَ حَقِّ اللهِ تَعَالَى، وَالْأَدَبُ مَعَهُ آكَدُ الْآدَابِ وَأَوْجَبُهَا، فَهُوَ الَّذِي أَتَى بِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَبِوَاسِطَتِهِ عَرَفْتَ رَبَّكَ، وَفَرَّقْتَ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَإِنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَجْزِيَهُ أَبَدًا، فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُحِبَّهُ غَايَةَ الْمَحَبَّةِ، وَفِي الْحَدِيثِ:

«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

٢ ـ وَإِنَّ عَلَامَةَ مَحَبَّتِكَ لِرَبِّكَ أَنْ تُحِبَّ نَبِيَّكَ، وَتَتَّبِعَهُ فِي سِيرَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ)

وَتُحِبَّ أَيْضًا أَهْلَ بَيْتِهِ، وَأَصْحَابَهُ وَجَمِيعَ أُمَّتِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ:

«أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي» وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ» وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: لَا يُؤْمِنُ

أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ".

٣ـ وَأَنْ تُطِيعَهُ فِي جَمِيعِ أَوَامِرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :

(مَنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ) (وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا). وَمِنْ طَاعَتِهِ : أَنْ تَنْصُرَ دِينَهُ بِقَوْلِكَ وَفِعْلِكَ، وَتُدَافِعَ عَنْ شَرِيعَتِهِ بِكُلِّ ٱسْتِطَاعَتِكَ، وَأَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ كَمَا أَمَرَكَ ٱللَّهُ بِقَوْلِهِ :

(إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ. يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا). وَخُصُوصًا لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ وَيَوْمَهَا، كَمَا فِي ٱلْحَدِيثِ :

"أَكْثِرُوا مِنَ ٱلصَّلَاةِ عَلَيَّ، فِي يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ وَلَيْلَةِ ٱلْجُمُعَةِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَٰلِكَ كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا وَشَافِعًا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ".

٥ـ نُبْذَةٌ مِنْ أَخْلَاقِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (١)

١ ـ كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ أَخْلَاقًا، وَقَدْ مَدَحَهُ رَبُّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)، وَجَعَلَهُ قُدْوَةً لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) وَقَدْ أَرْسَلَهُ ٱللَّهُ لِيُكَمِّلَ ٱلْآدَابَ،

وَٱلْأَخْلَاقِ. وَفِي ٱلْحَدِيثِ: „بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ ٱلْأَخْلَاقِ“.

٢ـ وَإِنَّ مِنْ أَخْلَاقِهِ ٱلْعِفَّةَ وَٱلْقَنَاعَةَ: يَرْضَى مِنَ ٱللِّبَاسِ وَٱلطَّعَامِ بِٱلْمَوْجُودِ، وَلَا يَسْأَلُ عَنِ ٱلْمَفْقُودِ، وَمَا ذَمَّ طَعَامًا قَطُّ، لٰكِنْ إِنْ أَعْجَبَهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ، وَمَا بَغَضَهُ إِلَى غَيْرِهِ، لَا يَطْلُبُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا، وَلَا يَمُدُّ عَيْنَيْهِ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ، وَكَانَ حَلِيمًا لَا يَغْضَبُ، صَابِرًا عَلَى ٱلْبَلَاءِ وَٱلْأَذَى، يَعْفُو عَنِ ٱلَّذِي يُسِيءُ إِلَيْهِ، مُتَوَاضِعًا لِلصَّغِيرِ وَٱلْكَبِيرِ وَمِنْ تَوَاضُعِهِ أَنَّهُ إِذَا مَرَّ بِٱلصِّبْيَانِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ، وَإِذَا دَعَاهُ أَحَدٌ، يُجِيبُهُ بِقَوْلِهِ: لَبَّيْكَ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَقُومَ لَهُ أَحَدٌ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَكَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَكْنُسُ بَيْتَهُ، وَيَخْدُمُ أَهْلَهُ، وَكَانَ يَشْتَرِي ٱلشَّيْءَ فَيَحْمِلُهُ إِلَى بَيْتِهِ بِنَفْسِهِ، فَيَقُولُ لَهُ صَاحِبُهُ: أَعْطِنِي أَحْمِلْهُ، فَيَقُولُ: „صَاحِبُ ٱلشَّيْءِ أَحَقُّ بِحَمْلِهِ“.

٣ـ وَمِنْ أَخْلَاقِهِ: ٱلشَّجَاعَةُ وَٱلْإِقْدَامُ، وَكَانَ ٱلشُّجَاعُ هُوَ ٱلَّذِي يَقْرُبُ مِنْهُ فِي ٱلْحَرْبِ، لِقُرْبِهِ مِنَ ٱلْعَدُوِّ، وَٱلثَّبَاتُ عَلَى ٱلْمَبَادِئِ وَٱلصَّبْرُ عَلَى أَدَاءِ ٱلْوَاجِبِ، بِرَغْمِ ٱلْعَقَبَاتِ ٱلشَّدِيدَةِ، وَٱلْأَذِيَّاتِ ٱلْعَظِيمَةِ، وَٱلصِّدْقُ وَٱلْأَمَانَةُ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، حَتَّى ٱشْتَهَرَ بَيْنَ قَوْمِهِ بِلَقَبِ مُحَمَّدٍ ٱلْأَمِينِ.

٤ـ وَكَانَ شَدِيدَ ٱلْخَوْفِ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى، كَثِيرَ ٱلْحَيَاءِ، عَظِيمَ ٱلشَّفَقَةِ

وَالرَّحْمَةِ: لَا يُؤْذِي إِنْسَانًا وَلَا حَيَوَانًا، وَيَرْحَمُ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ، وَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِمْ كَثِيرًا، وَيُجِيبُهُمْ إِذَا دَعَوْهُ، فَيَأْكُلُ مَعَهُمْ، وَيَزُورُ مَرْضَاهُمْ. وَكَانَ أَكْرَمَ النَّاسِ: لَا يَرُدُّ مَنْ طَلَبَ مِنْهُ شَيْئًا، وَإِذَا لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مَا يُعْطِيهِ، وَعَدَهُ بِإِعْطَائِهِ فِي وَقْتٍ آخَرَ. وَجَاءَهُ رَجُلٌ ذَاتَ يَوْمٍ، فَسَأَلَهُ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا سَدَّتْ مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ.

٥ – وَكَانَ يَرْحَمُ الْخَادِمَ: لَا يَنْهَرُ خَادِمًا قَطُّ، وَيَأْمُرُ بِالْعَفْوِ عَنِ الْخَادِمِ إِذَا غَلِطَ، وَيُشْفِقُ عَلَى الصِّبْيَانِ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا صَلَّى وَسَمِعَ صَبِيًّا يَبْكِي خَفَّفَ صَلَاتَهُ. وَذَاتَ يَوْمٍ دَخَلَ سَيِّدُنَا الْحَسَنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُوَ صَغِيرٌ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فَرَكِبَ ظَهْرَهُ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَبْطَأَ فِي سُجُودِهِ، شَفَقَةً عَلَيْهِ، حَتَّى نَزَلَ عَنْهُ. وَكَانَ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ، وَكَانَ لَهُ نُغَرٌ (طَائِرٌ صَغِيرٌ أَحْمَرُ الْمِنْقَارِ) يَلْعَبُ بِهِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَرَأَى الْوَلَدَ حَزِينًا، فَقَالَ: مَا شَأْنُهُ؟ قِيلَ لَهُ: مَاتَ نُغَرُهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟

٦ ـ نُبْذَةٌ مِنْ أَخْلَاقِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (٢)

١ ـ وَكَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَسَنَ ٱلْمُعَامَلَةِ لِأَصْحَابِهِ: يَبْتَسِمُ فِي وُجُوهِهِمْ وَيُبَاسِطُهُمْ، وَيَبْدَؤُهُمْ بِٱلسَّلَامِ وَٱلْمُصَافَحَةِ، وَيُؤْثِرُهُمْ عَلَى نَفْسِهِ، حَتَّى أَحَبُّوهُ أَكْثَرَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ. وَكَانَ يَحْتَرِمُ ٱلْجَارَ، وَيَأْمُرُ بِٱلْإِحْسَانِ إِلَيْهِ. وَقَالَ مَرَّةً لِأَحَدِ أَصْحَابِهِ: إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ. وَكَانَ يَقْرِي ٱلضَّيْفَ، وَيُحْسِنُ إِلَى أَقَارِبِهِ، وَلَمَّا جَاءَتْ إِلَيْهِ مُرْضِعَتُهُ سَيِّدَتُنَا حَلِيمَةُ ٱلسَّعْدِيَّةُ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهَا، وَهُوَ جَالِسٌ، بَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ، وَقَضَى حَاجَاتِهَا. وَكَانَ يُجِلُّ عَمَّهُ ٱلْعَبَّاسَ إِجْلَالَ ٱلْوَالِدِ وَٱلْوَالِدَةِ.

٢ ـ وَكَانَ يَذْكُرُ عَهْدَ ٱلصُّحْبَةِ ٱلْقَدِيمَةِ، وَيَقُولُ: إِنَّ حُسْنَ ٱلْعَهْدِ مِنَ ٱلْإِيمَانِ، فَبَعْدَ وَفَاةِ سَيِّدَتِنَا خَدِيجَةَ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهَا، إِذَا ذَبَحَ شَاةً قَسَمَ لَحْمَهَا عَلَى صَدِيقَاتِهَا، وَإِذَا أُتِيَ بِهَدِيَّةٍ قَالَ: ٱذْهَبُوا بِهَا إِلَى بَيْتِ فُلَانَةَ، فَإِنَّهَا كَانَتْ صَدِيقَةً لِخَدِيجَةَ. وَإِذَا فَقَدَ ٱلرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ غَائِبًا دَعَا لَهُ، وَإِنْ كَانَ شَاهِدًا زَارَهُ، وَإِنْ كَانَ مَرِيضًا عَادَهُ. وَكَانَ إِذَا وَعَدَ بِشَيْءٍ يَفِي بِهِ، [illegible]ى أَشَدَّ ٱلنَّهْيِ عَنْ إِخْلَافِ ٱلْوَعْدِ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُنَظِّمَ أَعْمَالَهُ

وَيُتْقِنَهَا، وَيقُولُ: إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَيُحِبُّ أَيْضًا النَّظَافَةَ فِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ: فِي طَعَامِهِ وَلِبَاسِهِ وَمَسْكَنِهِ، وَيَأْمُرُ بِالنَّظَافَةِ، كَمَا قَالَ فِي حَدِيثِهِ: النَّظَافَةُ مِنَ الإِيمَانِ.

٣ـ وَكَانَ إِذَا مَشَى لَا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَإِذَا أَكَلَ لَا يَأْكُلُ إِلَى أَنْ يَشْبَعَ، عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ).

وَإِذَا تَكَلَّمَ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ، وَيَقُولُ: "مَنْ صَمَتَ نَجَا"، وَكَانَ يُحَافِظُ عَلَى أَوْقَاتِهِ، فَيَصْرِفُهَا كُلَّهَا فِي طَاعَةِ رَبِّهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: "كَانَ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ، وَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ".

٧ـ مَحَبَّةُ الْوَالِدَيْنِ

١ـ إِنَّ وَالِدَيْكَ يُحِبَّانِكَ مَحَبَّةً عَظِيمَةً، وَهُمَا سَبَبُ وُجُودِكَ، وَقَدْ تَعِبَا كَثِيرًا فِي تَرْبِيَتِكَ، وَلَكِنَّهُمَا مَسْرُورَانِ بِذَلِكَ: فَأُمُّكَ حَمَلَتْكَ فِي بَطْنِهَا تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ أَرْضَعَتْكَ، وَهِيَ صَابِرَةٌ عَلَى أَتْعَابِ الْحَمْلِ وَالرَّضَاعِ، وَاعْتَنَتْ بِنَظَافَةِ جِسْمِكَ وَثِيَابِكَ، وَصَنَعَتْ مَلَابِسَكَ الْبَيْتَةَ، وَرَتَّبَتْ فِرَاشَكَ النَّظِيفَ، وَطَرَدَتْ عَنْكَ الْبَعُوضَ

لِتَنَامَ مُسْتَرِيحًا، وَحَفِظَتْكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ كُلِّ مَا يُؤْذِيكَ إِذَا مَشَيْتَ أَوْ قَعَدْتَ، أَوْ لَعِبْتَ أَوْ رَقَدْتَ، وَهِيَ الَّتِي هَيَّأَتْ لَكَ طَعَامَكَ، وَعَلَّمَتْكَ الْمَشْيَ وَالْكَلَامَ، وَمَا أَكْثَرَ فَرَحَهَا، إِذَا ابْتَدَأْتَ تَمْشِي أَوْ تَتَكَلَّمُ!

٢ــ وَأَبُوكَ يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْبَيْتِ، صَابِرًا عَلَى التَّعَبِ، وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ، لِيَكْسِبَ مَالًا يُنْفِقُهُ عَلَيْكَ، وَعَلَى أُمِّكَ، وَجَمِيعِ أُسْرَتِكَ: فَيَشْتَرِي لَكَ الْمَلَابِسَ وَالْأَطْعِمَةَ، وَكُلَّ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، مِثْلَ الْأَدَوَاتِ الْمَدْرَسِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَإِذَا طَلَبْتَ مِنْهُ شَيْئًا فِيهِ مَنْفَعَتُكَ، لَا يَمْنَعُكَ مِنْهُ، بَلْ يُعْطِيكَ مَقْصُودَكَ، بِكُلِّ فَرَحٍ وَسُرُورٍ.

٣ــ وَأَبُوكَ أَيْضًا يُحِبُّ أَنْ تَعِيشَ صَحِيحَ الْجِسْمِ، سَالِمًا مِنَ الْأَذَى وَالْمَرَضِ، وَلِذَلِكَ يَمْنَعُ عَنْكَ كُلَّ شَيْءٍ يَضُرُّكَ، وَيَأْمُرُكَ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى الصِّحَّةِ، وَيُحِبُّ أَنْ تَنْشَأَ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَالْآدَابِ الْكَامِلَةِ، وَلِذَلِكَ يَنْهَاكَ عَنْ مُجَالَسَةِ الْأَشْرَارِ، وَيُحِبُّ أَنْ تَكُونَ فِي مُسْتَقْبَلِكَ رَجُلًا كَامِلًا فِي عِلْمِهِ، مُهَذَّبًا فِي أَخْلَاقِهِ، مُتَمَسِّكًا بِدِينِهِ، مُعْتَبَرًا بَيْنَ النَّاسِ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَعَ نَفْسَهُ وَقَوْمَهُ، وَلِذَلِكَ أَدْخَلَكَ الْمَدْرَسَةَ، وَأَنْفَقَ عَلَى تَعْلِيمِكَ.

٤ــ إِنَّ وَالِدَيْكَ يَرْحَمَانِكَ رَحْمَةً تَامَّةً، وَلِذَلِكَ إِذَا مَرِضْتَ

حزنًا عليك، حزنًا شديدًا، وبذلا جهدهما في عافيتك، ودعوا الله ليلًا ونهارًا، أن يعجل بشفائك، وأمك تسهر لياليها في حراستك، وهي تبكي بدموعها الغزيرة، شفقة عليك، وأبوك يدعو لك الطبيب ويشتري لك الأدوية، ولا يبالي بإخراج الدراهم الكثيرة، من أجل صحتك الغالية.

٨ ـ ماذا يجب عليك لوالديك؟

أيها الولد المحبوب، لقد عرفت قدر محبة والديك لك، وما قاما به في سبيل تربيتك، فيجب عليك أن تقابل هذا الإحسان بالإحسان، وأن تقوم بكل ما تستطيع في برهما، ومع ذلك تشهد الفضل والمنة لهما، وتعترف أنك ما قمت تمامًا بحقوقهما، فاعمل بهذه النصائح:

١ ـ أن تحبهما من صميم قلبك، وتحترمهما غاية الاحترام، وتعاملهما بكل شيء يفرح قلوبهما، وتحترز من أي شيء يكدرهما، وتصغي إلى نصائحهما، وتبادر إلى امتثال أوامرهما، وقضاء حوائجهما، وتصافحهما كل صباح ومساء، وتقابلهما بوجه بسام، وتدعو لهما بطول العمر، في خير وعافية، وبحصول مقاصدهما،

وبأن يجزيهما الله خير الجزاء، على حسن تربيتهما.

٢ــ وأن تعلم أن بقاء والديك نعمة لك من الله عظيمة، وبركة عليك ورحمة، تتمتع بالنظر إليهما، وفي ذلك ثواب عظيم، كما في الحديث:

«ما من رجل ينظر إلى وجه والديه نظر رحمة، إلا كتب الله له بها حجة مقبولة مبرورة». وتصافحهما كل يوم، وتشاورهما في أمورك، وتدخل السرور عليهما، وتقضي حوائجهما، ويدعوان لك بكل خير، فما أعظم هذه النعم! وما أجزل هذا الثواب! فحقا لا يعرف الولد مبلغ النعمة بوجود والديه، إلا إذا فقدهما، فهناك يحس بالخسارة العظيمة، والحزن الشديد على فراقهما.

٣ــ وأن تستعمل الأدب معهما في كل وقت: فلا تستدبرهما ولا تدعوهما باسمهما، ولا تضحك بحضرتهما، في غير موضع الضحك، أو بصوت شديد، ولا تنظر إليهما بعين حادة، ولا تكذب عليهما، أو تشتمهما أو تتكلم معهما بكلام قبيح، أو ترفع صوتك فوق صوتهما،

قال الله تعالى:

(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما، فلا تقل لهما أف، ولا تنهرهما،

وَقُل لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ، وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ، وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا ، كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) .

٤ ــ ٱحْرِصْ دَائِمًا عَلَى رِضَى وَالِدَيْكَ : بِأَنْ تَجْتَهِدَ فِي مُطَالَعَةِ دُرُوسِكَ ، وَتَذْهَبَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى ٱلْمَدْرَسَةِ ، وَتُحَافِظَ عَلَى كُتُبِكَ وَمَلَابِسِكَ ، وَجَمِيعِ أَدَوَاتِكَ ، وَتُرَتِّبَهَا فِي مَوَاضِعِهَا ، وَلَا تُغَيِّرَ أَوْ تُضَيِّعَ شَيْئًا مِنْهَا ، وَتَعْمَلَ فِي ٱلْمَنْزِلِ وَخَارِجِهِ ، كُلَّ شَيْءٍ يُفَرِّحُهُمَا ، وَلَا تُؤْذِيَ أَحَدًا مِنْ إِخْوَتِكَ وَأَخَوَاتِكَ ، أَوِ ٱلْأَخْدَامِ ، وَلَا تَتَخَاصَمَ مَعَ أَبْنَاءِ جِيرَانِكَ ، أَوْ زُمَلَائِكَ فِي ٱلْمَدْرَسَةِ .

٥ ــ إِذَا طَلَبْتَ مِنْ وَالِدَيْكَ شَيْئًا ، فَلَا تَطْلُبْهُ أَمَامَ ٱلنَّاسِ ، وَإِذَا لَمْ يُعْطِيَاكَ مَطْلُوبَكَ فَٱسْكُتْ لِأَنَّهُمَا أَعْرَفُ بِمَصَالِحِكَ ، وَٱحْذَرْ أَنْ تَغْضَبَ ، فَتَتَّهِمَهُمَا أَوْ تُعَبِّسَ وَجْهَكَ ، وَإِذَا جَلَسْتَ أَمَامَهُمَا فَأَحْسِنْ هَيْئَةَ جُلُوسِكَ ، وَلَا تَضَعْ رِجْلًا عَلَى رِجْلٍ ، وَلَا تَجْلِسْ وَهُمَا قَائِمَانِ ، وَلَا تَمْشِ إِلَّا وَهُمَا وَرَاءَكَ ، وَإِذَا دَعَاكَ أَحَدُهُمَا ، فَأَسْرِعْ إِلَى إِجَابَتِهِ ، وَلَا تَتَبَاطَأْ ، أَوْ تَتَصَامَمْ ، أَوْ تَسْأَمْ مِنْ تَكْرَارِ ٱلدَّعْوَةِ ، وَٱحْذَرْ غَايَةَ ٱلْحَذَرِ : أَنْ تَسُبَّ أَبَا أَحَدٍ أَوْ أُمَّهُ ، لِئَلَّا يَسُبَّ وَالِدَيْكَ ، فَتَكُونَ أَنْتَ ٱلسَّبَبَ فِي ذٰلِكَ ، وَفِي ٱلْحَدِيثِ :

« مِنَ ٱلْكَبَائِرِ شَتْمُ ٱلرَّجُلِ وَالِدَيْهِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ ٱللهِ ، وَهَلْ

يَشْتِمُ ٱلرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، يَسُبُّ أَبَا ٱلرَّجُلِ ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ .

٦ ـ إِذَا كَبِرْتَ ، وَٱبْتَدَأْتَ تَشْتَغِلُ ، فَعَلَيْكَ بِمُسَاعَدَةِ وَالِدَيْكَ ، وَٱبْذُلْ فِيهَا غَايَةَ ٱسْتِطَاعَتِكَ ، وَٱعْتَنِ بِبِرِّ أُمِّكَ أَكْثَرَ مِنْ أَبِيكَ ، لِأَنَّهَا أَعْظَمُ شَفَقَةً ، وَأَشَدُّ مِنْهُ تَعَبًا فِي تَرْبِيَتِكَ .

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللَّهِ ، مَنْ أَحَقُّ ٱلنَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قَالَ : أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أَبُوكَ .

وَإِذَا مَاتَ أَحَدُ ٱلْوَالِدَيْنِ أَوْ كِلَاهُمَا ، فَيَجِبُ عَلَى ٱلْوَلَدِ أَنْ يَبَرَّهُمَا بِٱلدُّعَاءِ وَٱلِٱسْتِغْفَارِ ، وَٱلصَّدَقَةِ عَنْهُمَا .

وَفِي ٱلْحَدِيثِ : سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللَّهِ ، هَلْ بَقِيَ عَلَيَّ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِمَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، ٱلصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا ، وَٱلِٱسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا ، وَصِلَةُ ٱلرَّحِمِ ٱلَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا .

٧ ـ إِذَا قُمْتَ بِبِرِّ وَالِدَيْكَ : نِلْتَ رِضَا ٱللَّهِ تَعَالَى ، وَثَوَابَهُ ٱلْعَظِيمَ .

وَفِي ٱلْحَدِيثِ : رِضَا ٱللَّهِ فِي رِضَا ٱلْوَالِدَيْنِ ، وَسَخَطُ ٱللَّهِ فِي سَخَطِ ٱلْوَالِدَيْنِ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: "بِرُّ الْوَالِدَيْنِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ". وَسَوْفَ يَبِرُّكَ أَوْلَادُكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: "بِرُّوا آبَاءَكُمْ، تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ".

وَأَمَّا عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ: فَمِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ". وَقَالَ أَيْضًا: "إِيَّاكُمْ وَعُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ، وَاللهِ لَا يَجِدُهَا عَاقٌّ، وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ". وَقَالَ أَيْضًا: "مَلْعُونٌ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ".

٨ — وَإِذَا حَصَلَتْ مِنْكَ زَلَّةٌ نَحْوَ وَالِدَيْكَ: فَبَادِرْ بِطَلَبِ الْعَفْوِ مِنْهُمَا، مَا زَالَا فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَعَاهِدْ نَفْسَكَ عَلَى أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مِثْلِهَا، فَإِنَّ عُقُوبَةَ الْعُقُوقِ مُعَجَّلَةٌ فِي الدُّنْيَا، لَا سِيَّمَا بَعْدَ وَفَاةِ الْوَالِدَيْنِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: "كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللهُ مِنْهَا، مَا شَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّ اللهَ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ".

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَطْلُبُ الْبَيْعَةَ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَقَالَ: مَا جِئْتُكَ حَتَّى أَبْكَيْتُ وَالِدَيَّ. فَقَالَ: "ارْجِعْ إِلَيْهِمَا، فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا".

٩ـ لَاشَيْءَ أَسَرُّ لِلْوَالِدَيْنِ، مِنْ أَنْ يَرَيَا وَلَدَهُمَا قُرَّةَ عَيْنٍ؛ بَارًّا مُطِيعًا، أَدِيبًا نَجِيبًا، فَاجْتَهِدْ أَنْ تَكُونَ كَذٰلِكَ، وَاطْلُبْ مِنْهُمَا الدُّعَاءَ حَتَّى تَبْلُغَ غَايَةَ آمَالِكَ.

وَفِي الْحَدِيثِ: ،، دُعَاءُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ، كَدُعَاءِ النَّبِيِّ لِأُمَّتِهِ ،،

٩ـ قِصَصٌ تَطْبِيقِيَّةٌ

(١) كَانَ سَيِّدُنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، بَارًّا بِوَالِدَيْهِ، وَلَمَّا بَلَغَ عُمْرُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، قَالَ لَهُ أَبُوهُ:

(يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ، فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى، قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصَّابِرِينَ).

فَامْتَثَلَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ أَمْرَ رَبِّهِ، وَأَرَادَ أَنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ، وَفِي هٰذِهِ السَّاعَةِ الرَّهِيبَةِ تَذَكَّرَ سَيِّدُنَا إِسْمَاعِيلُ أُمَّهُ، فَقَالَ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ، أَحْكِمْ رِبَاطِي، حَتَّى لَا أَضْطَرِبَ، وَاكْشِفْ عَنِّي ثِيَابِي، حَتَّى لَا يُصِيبَهَا شَيْءٌ مِنْ دَمِي، فَتَرَاهُ أُمِّي، وَيَشْتَدَّ حُزْنُهَا، وَاقْرَأْ عَلَى أُمِّي السَّلَامَ، وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرُدَّ قَمِيصِي عَلَيْهَا فَافْعَلْ، فَإِنَّ ذٰلِكَ فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِقَلْبِهَا، وَذِكْرَى لِوَلِيدِهَا.

فَصَرَعَهُ عَلَى جَبِينِهِ، وَوَضَعَ السِّكِّينَ عَلَى حَلْقِهِ، وَلٰكِنْ لَمْ

تُؤَثِّرُ فِيهِ، بِقُدْرَةِ ٱللهِ تَعَالَى، وَفَدَاهُ ٱللهُ بِكَبْشٍ مِنَ ٱلْجَنَّةِ، فَذَبَحَهُ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ.

فَانْظُرْ أَيُّهَا ٱلْوَلَدُ ٱلْمَحْبُوبُ: كَيْفَ بِرُّ سَيِّدِنَا إِسْمَاعِيلَ وَصَبْرُهُ؟ وَكَيْفَ ٱمْتِثَالُ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ لِأَمْرِ رَبِّهِ، وَثَبَاتُهُ فِي هٰذَا ٱلْبَلَاءِ ٱلْمُبِينِ.

---

(٢) كَانَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ زَيْنُ ٱلْعَابِدِينَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، كَثِيرَ ٱلْبِرِّ بِأُمِّهِ، حَتَّى قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: أَنْتَ أَبَرُّ ٱلنَّاسِ بِأُمِّكَ، وَلِمَاذَا مَا نَرَاكَ تَأْكُلُ مَعَهَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، لِأَنِّي أَخَافُ أَنْ تَسْبِقَ يَدِي إِلَى طَعَامٍ، قَدْ سَبَقَ إِلَيْهِ عَيْنَاهَا، وَعَزَمَتْ عَلَى تَنَاوُلِهِ، فَأَكُونَ قَدْ عَقَقْتُهَا.

---

(٣) جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ ٱللهِ، هَا هُنَا غُلَامٌ قَدِ ٱحْتُضِرَ، يُقَالُ لَهُ: قُلْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَهَا، قَالَ: أَلَيْسَ كَانَ يَقُولُهَا فِي حَالِ حَيَاتِهِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَمَا مَنَعَهُ مِنْهَا عِنْدَ مَوْتِهِ؟ قَالَ: فَنَهَضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَنَهَضْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَيْنَا ٱلْغُلَامَ، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، قُلْ: لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ، فَقَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَهَا، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ:

بِعُقُوقِي وَالِدَتِي، قَالَ: أَحَيَّةٌ هِيَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَحْضِرُوهَا، فَحَضَرَتْ، فَقَالَ: أَرَأَيْتِ لَوْ أَنَّ نَارًا أُجِّجَتْ، فَقِيلَ لَكِ: إِنْ لَمْ تَشْفَعِي لَهُ قَذَفْنَاهُ فِي هٰذِهِ النَّارِ؟ قَالَتْ: إِذَنْ كُنْتُ أَشْفَعُ لَهُ. قَالَ: فَأَشْهِدِي اللّٰهَ تَعَالَى، وَأَشْهِدِينَا: أَنَّكِ قَدْ رَضِيتِ عَنْهُ. فَقَالَتْ: اَللّٰهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ رَسُولَكَ: أَنِّي قَدْ رَضِيتُ عَنِ ابْنِي. فَقَالَ: يَاغُلَامُ، قُلْ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ، فَقَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ.

فَتَأَمَّلْ أَيُّهَا الْوَلَدُ الْمَحْبُوبُ: هٰذِهِ الْقِصَّةَ تَعْلَمْ أَنَّ عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ سَبَبٌ لِسُوءِ الْخَاتِمَةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللّٰهِ مِنْهَا.

وَفِي الْحَدِيثِ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْفَعُ مَعَهُنَّ عَمَلٌ: اَلشِّرْكُ بِاللّٰهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ».

(٤) كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ، يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمْ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ، وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ.

فَانْظُرْ: كَيْفَ كَانَ هٰذَا الْغُلَامُ بَارًّا بِأَبِيهِ، حَتَّى قُبَيْلَ وَفَاتِهِ،

وَبِذٰلِكَ وَفَّقَهُ ٱللهُ لِلْإِسْلَامِ، فِي آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ عُمْرِهِ، فَأَصْبَحَ مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ. وَمِنْ هٰذِهِ ٱلْقِصَّةِ تَعْلَمُ: أَنَّ بِرَّ ٱلْوَالِدَيْنِ، سَبَبٌ لِحُسْنِ ٱلْخَاتِمَةِ.

(٥) كَانَ حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ بَارًّا بِأُمِّهِ، وَلَا يُخَالِفُ كَلَامَهَا أَبَدًا، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ ٱلْعُلَمَاءِ، وَلَهُ تَلَامِذَةٌ كَثِيرٌ، وَذَاتَ مَرَّةٍ: جَاءَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ، وَهُوَ فِي أَثْنَاءِ ٱلدَّرْسِ، فَقَالَتْ لَهُ: قُمْ يَا حَيْوَةُ، أَلْقِ ٱلشَّعِيرَ لِلدَّجَاجِ، فَلَا يَتَثَاقَلُ وَلَا يَتَبَاطَأُ، بَلْ يَتْرُكُ ٱلدَّرْسَ، وَيُبَادِرُ إِلَى ٱمْتِثَالِ أَمْرِهَا.

(٦) وَمِنَ ٱلْبَارِّينَ أَيْضًا: ذَرُّ بْنُ عُمَرَ ٱلْهَمْدَانِيُّ، وَمِنْ بِرِّهِ بِأَبِيهِ: أَنَّهُ مَا مَشَى قَطُّ مَعَ أَبِيهِ نَهَارًا، إِلَّا مَشَى خَلْفَهُ، وَلَا مَشَى مَعَهُ لَيْلًا، إِلَّا مَشَى أَمَامَهُ، لِيَتَلَقَّى دُونَهُ ٱلْأَخْطَارَ، وَلَا رَقِيَ سَطْحًا وَأَبُوهُ تَحْتَهُ.

١٠ـ مَاذَا يَجِبُ عَلَيْكَ لِإِخْوَتِكَ وَأَخَوَاتِكَ؟

١ ـ إِنَّ أَقْرَبَ ٱلنَّاسِ إِلَيْكَ بَعْدَ وَالِدَيْكَ، هُمْ إِخْوَتُكَ وَأَخَوَاتُكَ فَاعْمَلْ بِهٰذِهِ ٱلْآدَابِ، لِتَعِيشَ مَعَهُمْ فِي سُرُورٍ وَهَنَاءٍ، وَتَنَالَ رِضَا وَالِدَيْكَ:

٢ ـ أَنْ تَحْتَرِمَهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَأَنْ تُحِبَّهُمْ مَحَبَّةً صَادِقَةً، فَأَنْتَ وَهُمْ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُمْ يُحِبُّونَكَ، وَيَتَمَنَّوْنَ سَعَادَتَكَ، فَكُنْ مَعَهُمْ دَائِمًا فِي وِفَاقٍ وَاتِّحَادٍ، وَاحْتَرِزْ عَنْ أَسْبَابِ الْخِلَافِ، وَالنِّزَاعِ.

٣ ـ وَأَنْ تَخُصَّ أَخَاكَ الْكَبِيرَ، وَأُخْتَكَ الْكَبِيرَةَ، بِمَزِيدِ الْإِكْرَامِ وَالْاحْتِرَامِ، وَتَعْتَبِرَهُمَا فِي مَقَامِ وَالِدَيْكَ، فَتَعْمَلَ بِنَصَائِحِهِمَا، وَلَا تُعَانِدَ أَوَامِرَهُمَا.

وَفِي الْحَدِيثِ: «حَقُّ كَبِيرِ الْإِخْوَةِ عَلَى صَغِيرِهِمْ، كَحَقِّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ».

٤ ـ وَأَنْ تَرْحَمَ أَخَاكَ الصَّغِيرَ، وَأُخْتَكَ الصَّغِيرَةَ، وَتُعَامِلَهُمَا بِالْإِحْسَانِ، مُعَامَلَةَ وَالِدَيْكَ لَكَ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا».

٥ ـ سَاعِدْ إِخْوَتَكَ وَأَخَوَاتِكَ، بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْمُسَاعَدَةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْأَخَوَيْنِ مَثَلُ الْيَدَيْنِ، تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى». وَتَنَازَلْ دَائِمًا مَعَهُمْ، وَكُنْ صَابِرًا عَلَيْهِمْ، وَإِذَا غَلِطُوا، فَنَبِّهْهُمْ عَلَى غَلَطِهِمْ، بِلُطْفٍ وَلِينٍ، فَإِنَّ الْكَلَامَ

اَللَّطِيفَ، يُبَكِّتُ الضَّمِيرَ أَحْسَنَ تَبْكِيتٍ، وَالْكَلَامُ الشَّدِيدُ يُورِثُ الْوَحْشَةَ وَالْمُقَاطَعَةَ، وَاحْذَرْ أَنْ تَتَضَارَبَ أَوْ تَتَشَاتَمَ مَعَهُمْ، أَوْ تَنُمَّ بَيْنَهُمْ، أَوْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ رِضَاهُمْ، أَوْ تُقَاطِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ».

٦ ــ وَأَخُوكَ هُوَ السَّاعِدُ الْأَيْمَنُ لَكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى خِطَابًا لِسَيِّدِنَا مُوسَى فِي حَقِّ أَخِيهِ سَيِّدِنَا هَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

(سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ) وَهُوَ السِّلَاحُ الَّذِي تُدَافِعُ بِهِ أَعْدَاءَكَ، فِي مُعْتَرَكِ الْحَيَاةِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ
كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِغَيْرِ سِلَاحِ

١١ ــ الِاتِّحَادُ يُورِثُ الْقُوَّةَ

يُحْكَى أَنَّ رَجُلًا لَهُ أَوْلَادٌ، وَلَمَّا قَرُبَ حُضُورُ أَجَلِهِ دَعَاهُمْ، وَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، حُزْمَةً مِنَ الرِّمَاحِ، وَأَمَرَهُ بِكَسْرِهَا، فَحَاوَلَ كَسْرَهَا بِكُلِّ قُوَّتِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَحَلَّ الرَّجُلُ الْحُزْمَةَ، وَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ رُمْحًا، فَكَسَرَهُ بِسُهُولَةٍ، فَقَالَ لَهُمْ: مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ هٰذِهِ الْحُزْمَةِ:

إِنِ ٱتَّحَدْتُمْ وَٱجْتَمَعْتُمْ، لَمْ يَقْدِرْ عَدُوُّكُمْ أَنْ يَغْلِبَكُمْ، وَإِنِ ٱخْتَلَفْتُمْ وَتَفَرَّقْتُمْ، سَهُلَ عَلَى عَدُوِّكُمْ أَنْ يَهْزِمَكُمْ، مِثْلَ هٰذِهِ ٱلرِّمَاحِ ٱلْمُفَكَّكَةِ ٱلَّتِي قَدَرْتُمْ أَنْ تَكْسِرُوهَا، بِلَا تَعَبٍ، وَلَا مَشَقَّةٍ، ثُمَّ أَنْشَدَ قَائِلًا:

كُونُوا جَمِيعًا يَا بَنِيَّ إِذَا ٱعْتَرَى
خَطْبٌ وَلَا تَتَفَرَّقُوا آحَادَا
تَأْبَى ٱلرِّمَاحُ إِذَا ٱجْتَمَعْنَ تَكَسُّرًا
وَإِذَا ٱفْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ أَفْرَادَا

١٢ـ مَاذَا يَجِبُ عَلَيْكَ لِأَقَارِبِكَ ؟

١ ـ إِنَّ أَقْرَبَ ٱلنَّاسِ إِلَيْكَ بَعْدَ وَالِدَيْكَ وَإِخْوَتِكَ، هُمْ أَقَارِبُكَ مِثْلُ أَعْمَامِكَ وَعَمَّاتِكَ، وَأَخْوَالِكَ وَخَالَاتِكَ، وَأَوْلَادِهِمْ وَأَوْلَادِ إِخْوَتِكَ، وَأَخَوَاتِكَ،

وَفِي ٱلْحَدِيثِ: « ٱلْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ ٱلْأُمِّ . عَمُّ ٱلرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ . ٱبْنُ أُخْتِ ٱلْقَوْمِ مِنْهُمْ » وَأَقَارِبُكَ يُحِبُّونَكَ وَيُحِبُّونَ وَالِدَيْكَ، فَمَاذَا يَلْزَمُكَ نَحْوَهُمْ ؟

٢ ـ يَلْزَمُكَ أَنْ تُعَامِلَهُمْ، مُعَامَلَتَكَ لِإِخْوَتِكَ: فَتَحْتَرِمَ كِبَارَهُمْ، وَتَرْحَمَ صِغَارَهُمْ، وَتُسَاعِدَهُمْ فِي أَشْغَالِهِمْ، وَتُعِينَ ٱلْمُحْتَاجَ مِنْهُمْ،

وَتزُورَهُمْ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ، وَخُصُوصًا أَيَّامَ ٱلْأَعْيَادِ وَٱلْأَفْرَاحِ، وَأَوْقَاتَ ٱلْمَصَائِبِ وَٱلْأَحْزَانِ: فَإِذَا مَرِضَ قَرِيبُكَ، فَبَادِرْ إِلَى بَيْتِهِ لِعِيَادَتِهِ وَٱلدُّعَاءِ لَهُ بِٱلْعَافِيَةِ، وَإِذَا ٱنْتَقَلَ إِلَى رَحْمَةِ ٱللهِ، فَعَجِّلْ بِتَعْزِيَةِ أَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ وَمُسَاعَدَتِهِمْ، وَلَا يَفُوتَنَّكَ أَنْ تَحْضُرَ ٱلصَّلَاةَ عَلَى قَرِيبِكَ ٱلْمَيِّتِ، وَتَشْيِيعَ جَنَازَتِهِ، فَبِذٰلِكَ يَفْرَحُ مِنْكَ أَقَارِبُكَ، لِأَنَّكَ تَفْرَحُ لِفَرَحِهِمْ، وَتَحْزَنُ لِحُزْنِهِمْ، وَيَعْرِفُونَ أَنَّكَ وَلَدٌ مُهَذَّبٌ، قَائِمٌ بِوَاجِبَاتِهِ، نَحْوَ أَقَارِبِهِ.

٣ــ اِتَّحِدْ مَعَ أَقَارِبِكَ، وَٱجْتَنِبْ كُلَّ شَيْءٍ يُسَبِّبُ ٱلْمُقَاطَعَةَ أَوِ ٱلْمُخَاصَمَةَ مَعَهُمْ: فَلَا تَسْمَعْ كَلَامَ ٱلنَّمَّامِ، وَسَامِحْهُمْ إِذَا أَسَاءُوا إِلَيْكَ، وَلَا تَحْقِدْ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ إِسَاءَتِهِمْ، وَلَا تَحْسُدْ عَلَى نِعْمَةٍ، أَنْعَمَ ٱللهُ بِهَا عَلَيْهِمْ: فَإِذَا تَخَلَّقْتَ بِهٰذِهِ ٱلْآدَابِ: فَلَا جَرَمَ أَنْ تَعِيشَ مَعَ أَقَارِبِكَ، فِي وِئَامٍ وَسَلَامٍ، وَصَفَاءٍ وَهَنَاءٍ، فَسَعَادَةُ ٱلْإِنْسَانِ بِسَعَادَةِ أَهْلِهِ وَأُسْرَتِهِ، وَهُمْ لَهُ مِثْلُ ٱلْجَنَاحِ لِلطَّائِرِ، كَمَا قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

أَلَا إِنَّ ٱبْنَ عَمِّ ٱلْمَرْءِ فَٱعْلَمْ جَنَاحُهُ •
وَهَلْ يَنْهَضُ ٱلْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحِ؟

٤ــ وَقَدْ أَمَرَ ٱللهُ بِٱلْإِحْسَانِ إِلَى ٱلْأَقَارِبِ وَقَرَنَهُمْ بِٱلْوَالِدَيْنِ، قَالَ ٱللهُ تَعَالَى:

(وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ). وَفِي ٱلْحَدِيثِ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ: فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ. وَٱلَّذِي يُحْسِنُ إِلَى أَقَارِبِهِ: يُوَسِّعُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، وَيُطِيلُ عُمْرَهُ». وَفِي ٱلْحَدِيثِ: «صِلَةُ ٱلْقَرَابَةِ مَثْرَاةٌ فِي ٱلْمَالِ. صِلَةُ ٱلرَّحِمِ تَزِيدُ فِي ٱلْعُمْرِ. وَيَغْفِرُ ٱللَّهُ ذُنُوبَهُ». وَفِي ٱلْحَدِيثِ: «أَتَى ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَهَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَبِرَّهَا».

وَأَمَّا ٱلَّذِي يُسِيءُ إِلَى أَقَارِبِهِ وَيُؤْذِيهِمْ: فَإِنَّهُ بِٱلْعَكْسِ مِنْ ذٰلِكَ، وَيُمْنَعُ عَنْ دُخُولِ ٱلْجَنَّةِ. كَمَا فِي ٱلْحَدِيثِ: «لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ قَاطِعٌ». وَيُعَجِّلُ ٱللَّهُ لَهُ عُقُوبَتَهُ فِي ٱلدُّنْيَا». كَمَا فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلْآخَرِ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ مِنْ أَنْ يُعَجِّلَ ٱللَّهُ لِصَاحِبِهِ ٱلْعُقُوبَةَ فِي ٱلدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ ٱللَّهُ لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ ٱلرَّحِمِ».

٥ ــ إِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ أَقَارِبُكَ مَثَلًا: فَٱصْبِرْ، وَقَابِلْ إِسَاءَتَهُمْ بِٱلْإِحْسَانِ

وَفِي ٱلْحَدِيثِ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً، أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونَنِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ، وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ ٱلْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ ٱللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلَى ذٰلِكَ» (وَمَعْنَى تُسِفُّهُمُ ٱلْمَلَّ: تُطْعِمُهُمْ

الرَّمادَ الحارَّ، وهُوَ تشبيهٌ لِما يَلحقهُمْ مِنَ الإثمِ العَظيمِ، بِسَبَبِ أذِيَّتِكَ، مِثْلُ الَّذي يَتألَّمُ إذا أكَلَ الرَّمادَ الحارَّ. ومَعْنَى ظَهيرٌ: مُعِينٌ أيْ أنَّ اللهَ يَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ).

١٣ــ أبُو طَلْحَةَ الأنْصارِيُّ وأقارِبُهُ

(١) وَرَدَ في الحَديثِ الصَّحيحِ: أنَّ أبا طَلْحَةَ الأنْصارِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانَ أكْثَرَ الأنْصارِ بِالمَدينَةِ مالاً مِنْ نَخْلٍ، وكانَ أحَبَّ أمْوالِهِ إلَيْهِ بِيرُحاءُ (وهِيَ حَديقَةُ نَخْلٍ) وكانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وكانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ يَدْخُلُها، ويَشْرَبُ مِنْ ماءٍ فِيها طَيِّبٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ: (لَنْ تَنالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) جاءَ أبُو طَلْحَةَ إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، فَقالَ يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ اللهَ تَعالَى أنْزَلَ عَلَيْكَ: (لَنْ تَنالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) وإنَّ أحَبَّ مالِي إلَيَّ بِيرُحاءُ، وإنَّها صَدَقَةٌ للهِ تَعالَى، أرْجُو بِرَّها وذُخْرَها عِنْدَ اللهِ تَعالَى، فَضَعْها يا رَسُولَ اللهِ، حَيْثُ أراكَ اللهُ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: بَخٍ، ذلِكَ مالٌ رابِحٌ، ذلِكَ مالٌ رابِحٌ، وقَدْ سَمِعْتُ ما قُلْتَ، وإنِّي أرَى أنْ تَجْعَلَها لِلأقْرَبِينَ. فَقالَ أبُو طَلْحَةَ: أفْعَلُ يا رَسُولَ اللهِ،

فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.

(٢) قِصَّةٌ أُخْرَى

بَيْنَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، جَالِسِينَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ: لَا يُجَالِسُنَا قَاطِعُ رَحِمٍ، فَقَامَ فَتًى مِنَ الْحَلْقَةِ، فَأَتَى خَالَةً لَهُ، قَدْ كَانَ بَيْنَهُمَا بَعْضُ نِزَاعٍ، فَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَجْلِسِ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الرَّحْمَةَ لَا تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ، وَفِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ.

١٤ـ مَاذَا يَجِبُ عَلَيْكَ لِخَادِمِكَ؟

١ ـ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُعَامِلَ خَادِمَكَ، مُعَامَلَةً حَسَنَةً: بِأَنْ تُكَلِّمَهُ بِلُطْفٍ، إِذَا أَرَدْتَ مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا تُؤْذِيهِ بِالْكَلِمَاتِ الْقَاسِيَةِ، وَلَا تَنْهَرَهُ، أَوْ تَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ، وَأَنْ تُعَرِّفَهُ غَلَطَهُ إِذَا غَلِطَ، بِرِفْقٍ وَلِينٍ، ثُمَّ تُسَامِحَهُ.

وَسَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: اعْفُ عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً.

٢ـ إِذَا نَادَيْتَ خَادِمَكَ، فَلَمْ يُجِبْكَ حَالًا، أَوْ أَمَرْتَهُ بِشَيْءٍ فَأَبْطَأَ، فَلَا تَعْجَلْ إِلَى عِتَابِهِ، فَلَعَلَّهُ مَا سَمِعَ صَوْتَكَ، أَوْ كَانَ مَشْغُولًا، وَكُنْ سَمْحَ الْأَخْلَاقِ: تَحْتَمِلُ مَا يَصْدُرُ عَنِ الْأَخْدَامِ مِنْ هَفَوَاتٍ، لِأَنَّهُمْ غَالِبًا غَيْرُ مُؤَدَّبِينَ، وَإِذَا أَحْسَنُوا فِي خِدْمَتِكَ، فَلَا تَنْسَ أَنْ تَشْكُرَهُمْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ وَتُكَافِئَهُمْ عَلَى ذٰلِكَ. قَالَ اللهُ تَعَالَى:

(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ، إِلَّا الْإِحْسَانُ).

٣ـ لَا تُطْلِعِ الْخَادِمَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْرَارِ أَبِيكَ، كَيْلَا تَتَشَوَّفَ نَفْسُهُ إِلَى السَّرِقَةِ، وَلَا تَعْتَمِدْ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ، وَلَا تَجْلِسْ مَعَهُ لِلْمِزَاحِ، وَالْكَلَامِ الْفَارِغِ، حَتَّى لَا تَأْخُذَ مِنْ طَبْعِهِ، وَلَا يَسْقُطَ قَدْرُكَ عِنْدَهُ، وَلَا يَتَجَرَّأَ عَلَيْكَ، وَيُسِيءَ الْأَدَبَ إِلَيْكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَظْلِمَ الْخَادِمَ: بِأَنْ تُكَلِّفَهُ شُغْلًا فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ لَا تُعْطِيَهُ أَجْرَهُ، أَوْ تُمَاطِلَهُ فِيهِ، أَوْ تَنْقُصَهُ عَمَّا يَسْتَحِقُّهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: "ظُلْمُ الْأَجِيرِ أَجْرَهُ مِنَ الْكَبَائِرِ. أَوْ بِأَنْ تَضْرِبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ" وَفِي الْحَدِيثِ: "مَنْ ضَرَبَ سَوْطًا ظُلْمًا، اقْتُصَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"

١٥ـ هٰكَذَا ٱلتَّسَامُحُ مَعَ ٱلْخَادِمِ

١ ـ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا نَهَرَ خَادِمًا قَطُّ.
قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ: خَدَمْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتَهُ؟ وَلَا لَامَنِي نِسَاؤُهُ، إِلَّا قَالَ: دَعُوهُ إِنَّمَا كَانَ هٰذَا بِكِتَابٍ وَقَدَرٍ.

٢ ـ وَرُوِيَ أَنَّ ٱلْإِمَامَ عَلِيًّا كَرَّمَ ٱللهُ وَجْهَهُ: دَعَا غُلَامًا لَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَدَعَاهُ ثَانِيًا وَثَالِثًا، فَلَمْ يُجِبْهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَرَآهُ مُضْطَجِعًا فَقَالَ: أَمَا تَسْمَعُ يَا غُلَامُ؟ فَقَالَ: بَلَى. قَالَ: فَلِمَ لَمْ تُجِبْنِي حِينَ دَعَوْتُكَ؟ قَالَ: لِأَنِّي أَمِنْتُ عُقُوبَتَكَ، فَتَكَاسَلْتُ. فَقَالَ: ٱمْضِ فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ ٱللهِ.

٣ ـ وَرُوِيَ عَنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ: أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ، ذَاتَ يَوْمٍ فِي دَارِهِ، إِذْ جَاءَتْهُ جَارِيَةٌ، بِسَفُّودٍ عَلَيْهِ شِوَاءٌ، فَسَقَطَ مِنْ يَدِهَا، فَوَقَعَ عَلَى ٱبْنٍ لَهُ فَمَاتَ، فَدَهِشَتِ ٱلْجَارِيَةُ، فَقَالَ لَهَا قَيْسٌ: لَا رَوْعَ عَلَيْكِ. فَعَفَا عَنْهَا، وَأَعْتَقَهَا لِلهِ تَعَالَى.

١٦ـ مَاذَا يَجِبُ عَلَيْكَ لِجِيرَانِكَ؟

١ ـ إِنَّ جِيرَانَكَ يُحِبُّونَكَ، وَيُحِبُّونَ وَالِدَيْكَ، وَهُمَا أَيْضًا يُحِبَّانِهِمْ، وَيَأْمُرَانِكَ بِمَحَبَّتِهِمْ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، لِأَنَّ لَهُمْ حَقًّا كَبِيرًا، حَتَّى جَاءَ فِي الْحَدِيثِ:

«أَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا» وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ» وَوَرَدَ أَيْضًا: «الْجِيرَانُ ثَلَاثَةٌ: جَارٌ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ، وَجَارٌ لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ، فَالْجَارُ الَّذِي لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ: الْجَارُ الْمُسْلِمُ ذُو الرَّحِمِ، فَلَهُ حَقُّ الْجِوَارِ، وَحَقُّ الْإِسْلَامِ، وَحَقُّ الرَّحِمِ. وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقَّانِ: فَالْجَارُ الْمُسْلِمُ، لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ، وَحَقُّ الْإِسْلَامِ. وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ: فَالْجَارُ الْمُشْرِكُ، لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ».

٢ ـ وَالْجِيرَانُ يَنْفَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا: فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ مُحْتَاجًا مَثَلًا، إِلَى بَعْضِ الْأَدَوَاتِ وَالْأَوَانِي، فَإِنَّهُ يَسْتَعِيرُ ذَلِكَ مِنْ جِيرَانِهِ، فَيُعِيرُونَهُ إِيَّاهُ بِفَرَحٍ وَسُرُورٍ، وَقَدْ يَسْتَلِفُ مِنْهُمْ أَيْضًا شَيْئًا مِنَ الدَّرَاهِمِ وَالْأَطْعِمَةِ، وَهُمْ أَيْضًا إِذَا احْتَاجُوا إِلَيْهَا يَسْتَلِفُونَهَا مِنْهُ، وَإِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ سَارِقٌ أَوْ وَقَعَ فِيهِ حَرِيقٌ، جَاءَ جِيرَانُهُ، لِيُسَاعِدُوهُ عَلَى قَبْضِ السَّارِقِ،

وَإِطْفَاءِ ٱلنَّارِ، وَكَذٰلِكَ إِذَا جَاءَ مِنْ سَفَرٍ، أَوْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ: يَأْتِي جِيرَانُهُ إِلَى بَيْتِهِ، لِيُشَارِكُوهُ فِي سُرُورِهِ بِذٰلِكَ، وَإِذَا مَرِضَ حَزِنُوا عَلَيْهِ، وَجَاءُوا إِلَى دَارِهِ، يَسْأَلُونَ عَنْ حَالِهِ، وَيَدْعُونَ لَهُ بِالْعَافِيَةِ، كَمَا أَنَّهُ إِذَا مَاتَ عَلَيْهِ أَحَدُ أُسْرَتِهِ، أَتَوْا إِلَى دَارِهِ لِمُسَاعَدَتِهِ وَتَعْزِيَتِهِ، وَلِيُشَيِّعُوا جَنَازَةَ مَيِّتِهِ.

٣ــ فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَأَدَّبَ مَعَ جِيرَانِكَ، بِأَنْ تَبْدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ، وَتَبْتَسِمَ أَمَامَ وُجُوهِهِمْ، وَتُسَاعِدَهُمْ إِذَا ٱحْتَاجُوا إِلَى مُسَاعَدَتِكَ، وَتَحْذَرَ غَايَةَ ٱلْحَذَرِ مِنْ أَذِيَّتِهِمْ: فَإِذَا ٱشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً أَوْ غَيْرَهَا فَأَهْدِ لَهُ مِنْهَا، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا بَيْتَكَ سِرًّا، وَلَا تَغِظْهُ بِهَا، وَلَا تُؤْذِهِ بِقُتَارِ قِدْرِكَ، إِلَّا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا.

كَمَا فِي ٱلْحَدِيثِ، وَفِيهِ أَيْضًا: «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ».

وَتَحْذَرُ أَيْضًا أَنْ تُخَاصِمَهُمْ، أَوْ تَتَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ بِمَالِكَ أَوْ مَالِ أَبِيكَ، أَوْ تَسْخَرَ مِنْهُمْ، أَوْ تَرْفَعَ صَوْتَكَ وَقْتَ نَوْمِهِمْ، أَوْ تَرْمِيَ بُيُوتَهُمْ، أَوْ تُوَسِّخَهَا، أَوْ تَتَجَسَّسَ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلسُّطُوحِ، أَوْ مِنْ ثُقُوبِ ٱلْجُدْرَانِ أَوِ ٱلْأَبْوَابِ.

قَالَ ٱللّٰهُ تَعَالَى: (وَلَا تَجَسَّسُوا).

وَإِيذَاءُ ٱلْجَارِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ، وَفِي ٱلْحَدِيثِ:

„لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ".

٤ـ إِذَا ٱبْتُلِيتَ بِجِيرَانٍ أَشْرَارٍ، فَٱصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ، وَٱحْذَرْ أَنْ تُجَارِيَهُمْ، فِي سُوءِ أَخْلَاقِهِمْ، حَتَّى تَسْلَمَ مِنْ شَرِّهِمْ، وَٱبْتَعِدْ عَنْ مُجَالَسَةِ أَوْلَادِهِمْ، لِئَلَّا تَكْتَسِبَ مِنْ طِبَاعِهِمُ ٱلْقَبِيحَةِ، فَتَكُونَ شِرِّيرًا مِثْلَهُمْ.

١٧ـ قِصَصٌ تَطْبِيقِيَّةٌ

(١) قَالَ مُجَاهِدٌ: كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ ٱللّٰهِ بْنِ عُمَرَ، وَغُلَامٌ لَهُ يَسْلَخُ شَاةً، فَقَالَ لَهُ: يَا غُلَامُ إِذَا سَلَخْتَ فَٱبْدَأْ بِجَارِنَا ٱلْيَهُودِيِّ، حَتَّى قَالَ ذٰلِكَ مِرَارًا. فَقُلْتُ لَهُ: كَمْ تَقُولُ هٰذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَزَلْ يُوصِينَا بِٱلْجَارِ، حَتَّى خَشِينَا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ.

(٢) وَشَكَا بَعْضُهُمْ كَثْرَةَ ٱلْفَأْرِ فِي دَارِهِ، فَقِيلَ لَهُ: لَوِ ٱقْتَنَيْتَ هِرًّا، فَقَالَ أَخْشَى أَنْ يَسْمَعَ ٱلْفَأْرُ صَوْتَ ٱلْهِرِّ، فَيَهْرُبَ إِلَى دُورِ ٱلْجِيرَانِ، فَأَكُونَ قَدْ أَحْبَبْتُ لَهُمْ مَا لَا أُحِبُّ لِنَفْسِي.

(٣) وَكَانَ ٱلْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ ٱللهُ، لَهُ جَارٌ حَسُودٌ يُؤْذِيهِ وَيَغْتَابُهُ، وَلٰكِنَّهُ صَابِرٌ عَلَيْهِ، فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ: لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ، فَعَاتَبَهُ بَعْضُ ٱلنَّاسِ عَلَى كَثْرَةِ ٱحْتِمَالِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى جَارِهِ، فَقَالَ: إِنَّ لِلْجِوَارِ حَقًّا.

١٨ـ مَاذَا يَجِبُ عَلَيْكَ لِأُسْتَاذِكَ؟

أَيُّهَا ٱلْوَلَدُ ٱلْأَدِيبُ: كَمَا أَنَّ وَالِدَكَ ٱلَّذِي يُرَبِّي جِسْمَكَ لَهُ حَقٌّ عَظِيمٌ عَلَيْكَ، فَكَذٰلِكَ أُسْتَاذُكَ ٱلَّذِي يُرَبِّي رُوحَكَ، وَيُهَذِّبُ أَخْلَاقَكَ، وَيُنَوِّرُ فِكْرَكَ، وَيُعَلِّمُكَ ٱلْعِلْمَ ٱلنَّافِعَ، لَهُ حَقٌّ كَبِيرٌ عَلَيْكَ، فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُحِبَّهُ وَتُعَظِّمَهُ، وَتُعَامِلَهُ بِهٰذِهِ ٱلْآدَابِ:

١ ـ أَنْ تُذْعِنَ لِنَصَائِحِهِ، وَتَخْضَعَ لِأَوَامِرِهِ، لَا خَوْفًا مِنَ ٱلْعِقَابِ وَلٰكِنْ قِيَامًا بِٱلْوَاجِبِ، عَنْ إِخْلَاصٍ مِنْ قَلْبِكَ، كَمَا يُذْعِنُ ٱلْمَرِيضُ لِلطَّبِيبِ ٱلشَّفِيقِ، فَتَسْتَقْبِلَ كُلَّ مَا يُلْقِي إِلَيْكَ، بِحُسْنِ ٱلْإِصْغَاءِ وَٱلشُّكْرِ وَٱلْفَرَحِ، وَأَنْ تَتَوَاضَعَ لَهُ، وَتَطْلُبَ ٱلثَّوَابَ وَٱلشَّرَفَ بِخِدْمَتِهِ، وَتَشْعُرَ دَائِمًا أَنَّكَ مَمْنُونٌ مِنْ أُسْتَاذِكَ، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُجَازِيَهُ مَهْمَا أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ، وَتَحْذَرَ غَايَةَ ٱلْحَذَرِ مِنْ أَنْ

تَعْتَرِضَ عَلَيْهِ، أَوْ تُعَانِدَهُ أَوْ تَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ .

وَفِي ٱلْحَدِيثِ : « لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ ٱلْمُؤْمِنِ ٱلتَّمَلُّقُ إِلَّا فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ ».

وَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ ٱللهُ وَجْهَهُ : أَنَا عَبْدُ مَنْ عَلَّمَنِي حَرْفًا وَاحِدًا : إِنْ شَاءَ بَاعَ، وَإِنْ شَاءَ أَعْتَقَ، وَإِنْ شَاءَ ٱسْتَرَقَّ .

وَأَمَّا ٱلْكِبْرُ وَٱلْعِنَادُ فَسَبَبٌ لِحِرْمَانِ ٱلْعِلْمِ، كَمَا قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

ٱلْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَى ٱلْمُتَعَالِي

كَٱلسَّيْلِ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ ٱلْعَالِي

وَٱلتِّلْمِيذُ ٱلْأَدِيبُ ٱلْمُتَوَاضِعُ : يَنَالُ ٱلْعِلْمَ وَيَنْتَفِعُ بِهِ، وَعَكْسُهُ ٱلْوَقِحُ ٱلْمُتَكَبِّرُ، وَإِنْ نَالَ شَيْئًا مِنَ ٱلْعِلْمِ : فَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ فِي نَفْسِهِ وَلَا يَنْفَعُ بِهِ غَيْرَهُ . بَلْ يَضُرُّهُ ٱلْعِلْمُ، وَيَزِيدُهُ كِبْرًا وَسُوءَ خُلُقٍ .

٢ ــ وَإِنَّ مِنْ نَصَائِحِ ٱلْأُسْتَاذِ : أَنْ تَنْوِيَ بِطَلَبِ ٱلْعِلْمِ رِضَا ٱللهِ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ، وَإِحْيَاءَ ٱلدِّينِ، وَنَفْعَ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَتَنْوِيَ بِهِ ٱلشُّكْرَ عَلَى نِعْمَةِ ٱلْعَقْلِ، وَصِحَّةِ ٱلْبَدَنِ، وَلَا تَقْصِدَ بِهِ طَلَبَ ٱلْمَنْحِ وَٱلْجَاهِ عِنْدَ ٱلنَّاسِ، أَوْ جَمْعَ حُطَامِ ٱلدُّنْيَا .

وَمِنْ نَصَائِحِهِ أَيْضًا : أَنْ تَجْتَهِدَ غَايَةَ ٱلْاِجْتِهَادِ فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ : فَتَحْفَظَ دُرُوسَكَ كُلَّهَا، وَتُرَاجِعَهَا فِي ٱلْبَيْتِ، وَلَا تُضَيِّعَ

أَوْقَاتَكَ سُدًى، فَإِنَّهَا أَغْلَى مِنَ الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ، وَإِذَا فَاتَتْ فَلَا تَعُودُ أَبَدًا، وَأَنْ تَعْتَنِيَ بِنَظَافَةِ كُتُبِكَ وَأَدَوَاتِكَ، وَتَرْتِيبِهَا فِي مَحَلِّهَا، وَتُوَاظِبَ عَلَى الْحُضُورِ كُلَّ يَوْمٍ، فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ، وَلَا تَتَأَخَّرَ إِلَّا لِعُذْرٍ صَحِيحٍ، وَأَنْ تَسْتَمِعَ إِلَى مَا يُلْقِيهِ مِنَ الدُّرُوسِ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ، حَتَّى تَفْهَمَهَا بِسُرْعَةٍ، وَلَا تُتْعِبَ أُسْتَاذَكَ بِكَثْرَةِ التَّكْرَارِ. فَاعْمَلْ بِتِلْكَ النَّصَائِحِ النَّافِعَةِ.

٣ ــ وَمِنَ الْآدَابِ مَعَ الْأُسْتَاذِ: أَنْ تَقُومَ لَهُ إِذَا كُنْتَ جَالِسًا، احْتِرَامًا لَهُ وَتَعْظِيمًا، وَلَا تَجْلِسَ حَتَّى يَأْذَنَ لَكَ بِالْجُلُوسِ، فَتَجْلِسَ أَمَامَهُ بِأَدَبٍ، وَلَا تَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ فِي الْكَلَامِ، أَوْ تَقْطَعَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ، أَوْ تَأْمُرَ وَتَنْهَى أَحَدًا بِحَضْرَتِهِ، وَإِذَا لَمْ تَفْهَمْ مَسْأَلَةً: أَنْ تُقَدِّمَ إِلَيْهِ السُّؤَالَ، بِلُطْفٍ وَاحْتِرَامٍ: بِأَنْ تَرْفَعَ أُصْبُعَكَ أَوَّلًا، وَلَا تَتَكَلَّمَ حَتَّى يَأْذَنَ لَكَ فِي الْكَلَامِ، وَإِذَا سَأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ: أَنْ تَنْهَضَ قَائِمًا، وَتُجِيبَ عَلَى سُؤَالِهِ بِجَوَابٍ حَسَنٍ، وَلَا تُبَادِرَ بِالْجَوَابِ، إِذَا وَجَّهَ السُّؤَالَ إِلَى غَيْرِكَ.

٤ ــ وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَيْهِ وَتُصَافِحَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْمَدْرَسَةِ، وَتُقَابِلَهُ بِوَجْهٍ مُبْتَسِمٍ، وَتَفْعَلَ كَذَلِكَ إِذَا لَقِيتَهُ فِي الطَّرِيقِ، وَأَنْ تَزُورَهُ فِي بَيْتِهِ خُصُوصًا فِي الْأَعْيَادِ، أَوْ إِذَا مَرِضَ، وَتَسْأَلَهُ

عَنْ صِحَّتِهِ، وَتَدْعُو لَهُ بِالْعَافِيَةِ، وَأَنْ تُسَاعِدَهُ فِي قَضَاءِ حَاجَاتِهِ، وَتُشَاوِرَهُ فِي أُمُورِكَ، وَتَعْمَلَ بِمَا يُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ، وَأَنْ لَا تَدْعُوَهُ بِاسْمِهِ، بَلْ بِكَلِمَةِ الْأُسْتَاذِ، وَلَا تَمْشِيَ أَمَامَهُ، أَوْ تُوَلِّيَهُ ظَهْرَكَ، وَلَا تَجْلِسَ فِي مَحَلِّهِ، أَوْ تَأْخُذَ كِتَابَهُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، وَأَنْ لَا تُكْثِرَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ، وَلَا تُفْشِيَ لَهُ سِرًّا، وَلَا تَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَلَا تَقُولَ لَهُ: إِنَّ فُلَانًا قَالَ: خِلَافَ قَوْلِهِ.

٥ — وَأَنْ لَا تَسْتَحِيَ إِذَا سَأَلَكَ عَنْ فَهْمِ مَسْأَلَةٍ وَأَنْتَ لَمْ تَفْهَمْهَا: أَنْ تُصَرِّحَ لَهُ بِالْحَقِيقَةِ، حَتَّى لَا تَأْثَمَ بِالْكَذِبِ، وَيَفُوتَكَ فَهْمُ تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ، وَلَا تَغْضَبَ إِذَا عَاتَبَكَ، بَلْ تَسْكُتَ وَتَفْرَحَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مَا يُعَاتِبُكَ إِلَّا لِمَحَبَّتِهِ لَكَ، لِتَقُومَ بِوَاجِبَاتِكَ، وَسَوْفَ تَشْكُرُهُ عَلَى ذَلِكَ الْعِتَابِ إِذَا كَبِرْتَ.

وَمِنَ الْخَطَأِ الْكَبِيرِ: أَنْ تَظُنَّ أَنَّ أُسْتَاذَكَ يُبْغِضُكَ، بِسَبَبِ عِتَابِهِ لَكَ، فَلَا يُسِيءُ الظَّنَّ بِأُسْتَاذِهِ: إِلَّا التِّلْمِيذُ الْوَقِحُ، الْمَحْرُومُ مِنَ الْعِلْمِ؛

٦ — إِنَّ مِنَ الْوَفَاءِ لِأُسْتَاذِكَ: أَنْ لَا تَنْسَى إِحْسَانَهُ طُولَ حَيَاتِكَ، وَإِنْ خَرَجْتَ مِنَ الْمَدْرَسَةِ، أَوِ انْفَصَلَ أُسْتَاذُكَ مِنْهَا، أَوْ سَافَرَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ مَثَلًا، فَتَتَّصِلَ بِهِ بِالْمُرَاسَلَاتِ، وَلَاسِيَّمَا

عِنْدَ ٱلْمُنَاسَبَاتِ، وَكَذَٰلِكَ إِذَا ٱنْتَقَلَ إِلَى ٱلْعَالَمِ ٱلْبَاقِي، أَنْ تَدْعُوَ لَهُ بِٱلرَّحْمَةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ، وَتَتَصَدَّقَ عَنْهُ.

١٩ـ قِصَصٌ تَطْبِيقِيَّةٌ

(١) كَانَ ٱلْإِمَامُ ٱلشَّافِعِيُّ مُتَأَدِّبًا جِدًّا، أَمَامَ أُسْتَاذِهِ ٱلْإِمَامِ مَالِكٍ رَحِمَهُمَا ٱللهُ، حَتَّى قَالَ: كُنْتُ أَصْفَحُ ٱلْوَرَقَةَ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ صَفْحًا رَقِيقًا، هَيْبَةً لَهُ، لِئَلَّا يَسْمَعَ وَقْعَهَا.

---

(٢) وَكَانَ ٱلرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، يُعَظِّمُ أُسْتَاذَهُ ٱلْإِمَامَ ٱلشَّافِعِيَّ تَمَامَ ٱلتَّعْظِيمِ، وَيَقُولُ: وَٱللهِ مَا ٱجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ ٱلْمَاءَ، وَٱلشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ، هَيْبَةً لَهُ، وَكَانَ أُسْتَاذُهُ يُحِبُّهُ غَايَةَ ٱلْمَحَبَّةِ، وَيَقُولُ لَهُ: يَا رَبِيعُ، لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أُطْعِمَكَ ٱلْعِلْمَ لَأَطْعَمْتُكَ إِيَّاهُ

---

(٣) وَضَعَ هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ وَلَدَيْهِ ٱلْأَمِينَ وَٱلْمَأْمُونَ، عِنْدَ

أُسْتَاذٍ عَلَّامَةٍ، ٱسْمُهُ ٱلْكِسَائِيُّ، فَقَامَ ٱلْأُسْتَاذُ ذَاتَ يَوْمٍ لِيَخْرُجَ مِنْ عِنْدِهِمَا، فَتَسَابَقَا إِلَى نَعْلَيْهِ، وَتَنَازَعَا عَلَى تَقْدِيمِهِمَا إِلَيْهِ، ثُمَّ ٱصْطَلَحَا عَلَى أَنْ يُقَدِّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدَةً مِنَ ٱلنَّعْلَيْنِ، فَسَمِعَ ٱلرَّشِيدُ بِذٰلِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَعَزُّ ٱلنَّاسِ؟ قَالَ: أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: لَا، بَلْ أَعَزُّ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَسَابَقُ أَوْلَادُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى تَقْدِيمِ نَعْلَيْهِ. فَٱسْتَعْظَمَ ٱلْأُسْتَاذُ ٱلْأَمْرَ، وَظَنَّ أَنَّهُ أَخْطَأَ، وَأَرَادَ أَنْ يَمْنَعَهُمَا مِنْ ذٰلِكَ فِي ٱلْمَرَّةِ ٱلْأُخْرَى، فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ لَوْ مَنَعْتَهُمَا لَعَاتَبْتُكَ عِتَابًا شَدِيدًا، فَإِنَّهُمَا لَمْ يَفْعَلَا شَيْئًا يُسْقِطُ مِنْ قَدْرِهِمَا، بَلْ إِنَّهُ يَزِيدُ فِي شَرَفِهِمَا، وَقَدْ كَافَأْتُهُمَا عَلَى أَدَبِهِمَا: عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَلَكَ: عَشَرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ، عَلَى حُسْنِ تَأْدِيبِكَ لَهُمَا.

---

(٤) وَحُكِيَ أَنَّ هَارُونَ ٱلرَّشِيدَ أَيْضًا: بَعَثَ أَحَدَ أَبْنَائِهِ إِلَى ٱلْأَصْمَعِيِّ، لِيُعَلِّمَهُ ٱلْعِلْمَ وَٱلْأَدَبَ، فَرَآهُ يَوْمًا يَتَوَضَّأُ وَيَغْسِلُ رِجْلَهُ، وَٱبْنُ ٱلْخَلِيفَةِ يَصُبُّ ٱلْمَاءَ عَلَى رِجْلِهِ، فَعَاتَبَ ٱلْأَصْمَعِيَّ فِي ذٰلِكَ بِقَوْلِهِ: إِنَّمَا بَعَثْتُهُ إِلَيْكَ لِتُعَلِّمَهُ وَتُؤَدِّبَهُ، فَلِمَاذَا

لِمَ تأمُرُهُ : بِأَنْ يَصُبَّ ٱلْمَاءَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ ، وَيَغْسِلَ بِٱلْأُخْرَى رِجْلَكَ؟

٢٠ـ ماذا يجبُ عليكَ لِزُملائِكَ؟

يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُرَاعِيَ آدَابَ ٱلصُّحْبَةِ : نَحْوَ ٱلتَّلَامِيذِ ٱلَّذِينَ تَتَعَلَّمُ مَعَهُمْ ، فِي مَدْرَسَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلَاسِيَّمَا تَلَامِيذُ فَصْلِكَ ، لِأَنَّ رَابِطَةَ ٱلتَّعْلِيمِ ، جَمَعَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، فَلَهُمْ حُقُوقٌ زَائِدَةٌ عَلَى حُقُوقِ غَيْرِهِمْ ، مِنْ سَائِرِ أَصْدِقَائِكَ ، فَٱعْمَلْ بِٱلْآدَابِ ٱلْآتِيَةِ :

١ـ أَنْ تَحْتَرِمَ كِبَارَهُمْ ، وَتَرْحَمَ صِغَارَهُمْ ، وَتَتَعَاوَنَ مَعَهُمْ عَلَى حِفْظِ ٱلنِّظَامِ وَٱلْهُدُوءِ وَقْتَ ٱلتَّعْلِيمِ ، أَوْ فِي ٱلِٱسْتِرَاحَةِ ، وَعَلَى إِرْضَاءِ ٱلْأَسَاتِذَةِ بِكُلِّ ٱسْتِطَاعَةٍ ، وَذٰلِكَ بِتَأْدِيَةِ ٱلْوَاجِبَاتِ : مِنْ حِفْظِ ٱلدُّرُوسِ ، وَٱلِٱجْتِهَادِ فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ ، وَإِحْضَارِ ٱلْكُتُبِ وَٱلدَّفَاتِرِ ، وَجَمِيعِ أَدَوَاتِ ٱلتَّعْلِيمِ ، وَٱلْمُحَافَظَةِ عَلَى سَلَامَتِهَا مِنَ ٱلتَّغَيُّرِ ، وَنَظَافَتِهَا عَنِ ٱلْأَوْسَاخِ ، وَٱلْمُوَاظَبَةِ عَلَى ٱلْحُضُورِ يَوْمِيًّا إِلَى ٱلْمَدْرَسَةِ ، قَبْلَ مِيعَادِ ٱلتَّعْلِيمِ ، وَأَنْ تَقُومَ أَنْتَ أَوْ أَحَدُ زُمَلَائِكَ مَقَامَ مَنْ غَابَ مِنَ ٱلْأَسَاتِذَةِ ، إِذَا كَانَ ذٰلِكَ فِي ٱلْإِمْكَانِ ، لِئَلَّا يَتَعَطَّلَ ٱلدَّرْسُ ، وَتَحْصُلَ ٱلْفَوْضَى فِي ٱلْقِسْمِ ، وَطَبْعًا إِنَّ أُسْتَاذَكَ

يَفْرَحُ جِدًّا بِمُحَافَظَتِكَ عَلَى النِّظَامِ.

٢ـ وَمِنَ الْآدَابِ أَيْضًا: أَنْ تُحِبَّ لِزُمَلَائِكَ مِنَ الْخَيْرِ، مِثْلَ مَا تُحِبُّهُ لِنَفْسِكَ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ:

„لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ، مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ".

وَأَنْ تَتَسَامَحَ مَعَهُمْ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَتُعَامِلَهُمْ بِاللُّطْفِ وَالْاِبْتِسَامِ، وَتُسَاعِدَهُمْ عَلَى حُصُولِ حَاجَاتِهِمْ، وَتَحْتَرِزَ مِنْ دَوَاعِي النِّزَاعِ وَالْبُغْضِ: فَلَا تَبْخَلْ عَلَيْهِمْ إِذَا اسْتَعَارُوا مِنْكَ شَيْئًا، وَلَا تَتَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ، أَوْ تَحْسُدَهُمْ، أَوْ تَكْذِبَ عَلَيْهِمْ، أَوْ تَنُمَّ بَيْنَهُمْ، وَلَا تُضَايِقَهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ، أَوْ تُتْلِفَ شَيْئًا مِنْ أَدَوَاتِهِمْ أَوْ تُخَبِّأَ بَعْضَهَا، أَوْ تُسِيءَ الظَّنَّ بِهِمْ، أَوْ تُجَادِلَهُمْ مُجَادَلَةً خَارِجَةً عَنِ الْأَدَبِ، أَوْ تُمَازِحَهُمْ كَثِيرًا، أَوْ فِي غَيْرِ وَقْتِ الْمِزَاحِ، فَإِنَّ ذٰلِكَ سَبَبٌ لِلْخِصَامِ وَالْحِقْدِ.

٣ـ وَأَنْ تَدْعُوَ لَهُمْ فِي غَيْبَتِهِمْ، وَفِي الْحَدِيثِ:

„دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ".

وَأَنْ تَقْبَلَ عُذْرَهُمْ، إِذَا ٱعْتَذَرُوا إِلَيْكَ فِي خَطَئِهِمْ، وَأَنْ تُصْلِحَ بَيْنَهُمْ، إِذَا حَصَلَ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنَ ٱلْخِلَافِ، قَالَ تَعَالَى:

(إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ).

وَأَنْ تُسَابِقَ زُمَلَاءَكَ، إِلَى حِفْظِ ٱلدُّرُوسِ، وَفَهْمِ ٱلْمَسَائِلِ عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

(وَفِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ).

وَأَنْ تُسَاعِدَ ٱلضُّعَفَاءَ مِنْهُمْ عَلَى ٱلتَّعَلُّمِ، وَلَا تَفْخَرَ عَلَيْهِمْ بِحِفْظِ ٱلدُّرُوسِ، وَسُرْعَةِ ٱلْفَهْمِ، وَأَنْ تَجْعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ مُبَاحَثَةً عِلْمِيَّةً وَقْتَ ٱلْفَرَاغِ، فَإِنَّ ذٰلِكَ كُلَّهُ مِمَّا يُفَرِّحُ قَلْبَ أُسْتَاذِكَ.

وَمِنَ ٱلْآدَابِ أَيْضًا إِذَا أَشْكَلَتْ عَلَى أَحَدِ زُمَلَائِكَ مَسْأَلَةٌ، فَسَأَلَ ٱلْأُسْتَاذَ عَنْهَا: أَنْ لَا تَغْضَبَ عَلَيْهِ، أَوْ تَسْتَهْزِئَ بِهِ، وَلٰكِنْ تَسْتَمِعَ إِلَى جَوَابِ ٱلْأُسْتَاذِ، لِتَزْدَادَ فَهْمًا فِي ٱلْمَسْأَلَةِ، وَيَفْرَحَ مِنْكَ زَمِيلُكَ.

٤ — إِذَا قُمْتَ بِهٰذِهِ ٱلْآدَابِ نَحْوَ زُمَلَائِكَ، فَلَا رَيْبَ أَنَّهُمْ يَحْتَرِمُونَكَ وَيُحِبُّونَكَ، وَيَسْعَوْنَ فِي نُصْرَتِكَ، وَدَفْعِ ٱلضَّرَرِ عَنْكَ، وَيَعْتَبِرُونَكَ عَلَى ٱلْحَقِيقَةِ، زَمِيلًا وَفِيًّا لَهُمْ، يَأْنَسُونَ بِصُحْبَتِكَ، وَتَأْنَسُ بِصُحْبَتِهِمْ، وَبِٱلْعَكْسِ إِذَا تَرَكْتَ هٰذِهِ ٱلْآدَابَ، فَإِنَّهُمْ

يَصِيرُونَ أَعْدَاءَكَ، وَيَكْرَهُونَ لِقَاءَكَ، فَتُصْبِحُ بَيْنَهُمْ وَحِيدًا مُسْتَوْحِشًا، كَطَيْرٍ مَكْسُورِ ٱلْجَنَاحِ .

٥ـ وَعَلَيْكَ أَيُّهَا ٱلتِّلْمِيذُ ٱلْأَدِيبُ : إِذَا وَجَدْتَ بَيْنَ زُمَلَائِكَ تِلْمِيذًا شِرِّيرًا، مُعَانِدًا لِأَسَاتِذَتِهِ، وَلَا يَقُومُ بِوَاجِبَاتِهِ أَنْ تَبْتَعِدَ عَنْ صُحْبَتِهِ، كَيْلَا يَسْرِيَ إِلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ طِبَاعِهِ ٱلْخَبِيثَةِ، فَقَدْ صَدَقَ ٱلشَّاعِرُ حَيْثُ يَقُولُ :

إِنَّ ٱلطِّبَاعَ تَسْرِقُ ٱلطِّبَاعَا
وَكُلُّ مَنْ صَاحَبَ خَبِيثًا ضَاعَا

٦ـ إِذَا ٱنْفَصَلْتَ عَنِ ٱلْمَدْرَسَةِ، فَمِنْ حُقُوقِ ٱلزَّمَالَةِ : أَنْ لَا تَنْسَى زُمَلَاءَكَ، بَلْ تَحْفَظَ لَهُمْ عُهُودَ ٱلصُّحْبَةِ، وَأَيَّامَ ٱلتَّلْمَذَةِ وَتَخُصَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ ٱلْآخَرِينَ، بِمَزِيدِ ٱلْإِكْرَامِ وَٱلْإِحْسَانِ فَهٰكَذَا يَكُونُ ٱلْوَفَاءُ بَيْنَ ٱلْإِخْوَانِ .

تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث

بخط محمد عبد الرزاق
الخطاط بإندونيسيا

فهرس الجزء الثانى من كتاب الأخلاق للبنين